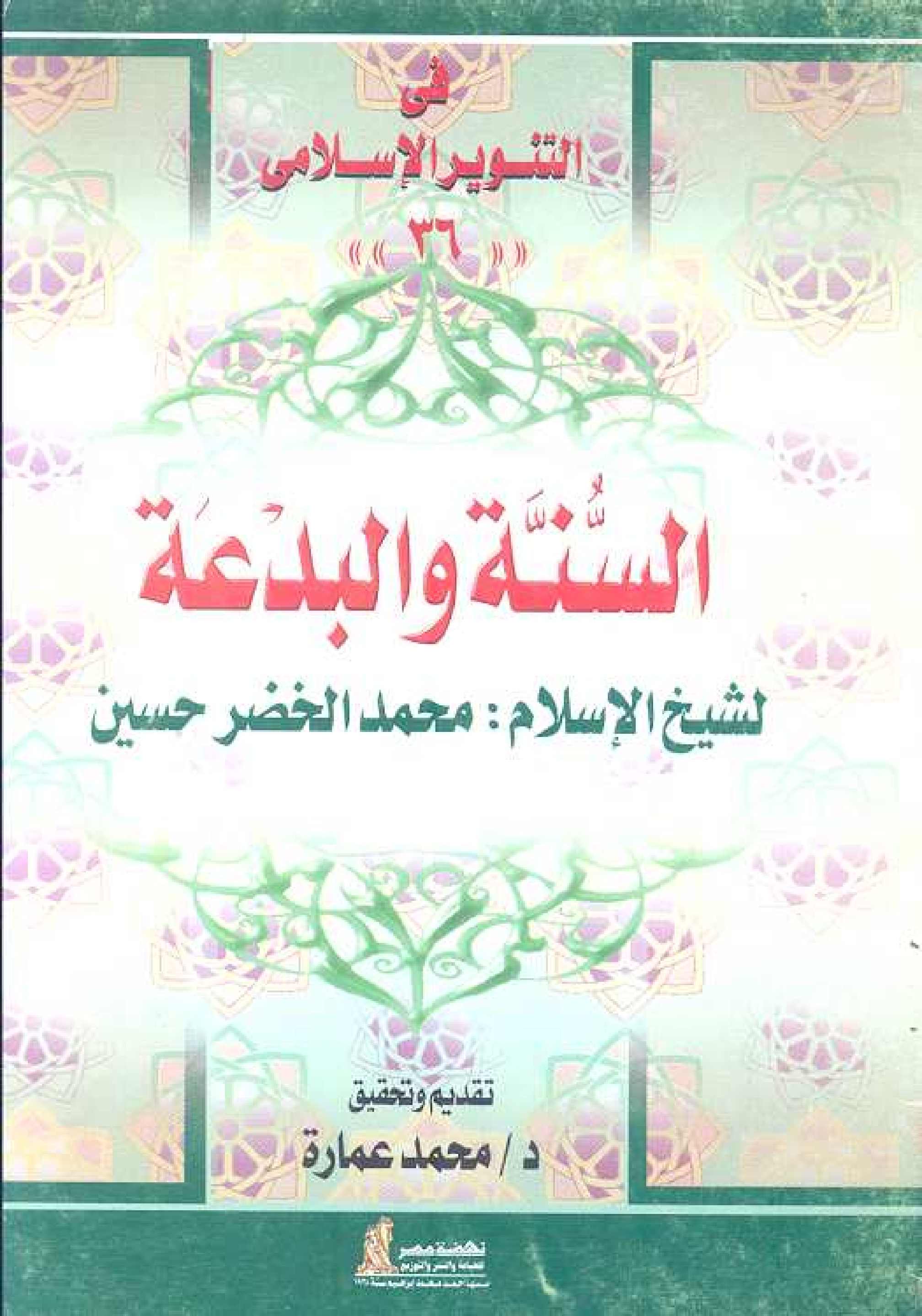

في
التنوير الإسلامي
« ٣٦ »
السُّنَّة والبدْعَة
لشيخ الإسلام : محمد الخضر حسين
تقديم وتحقيق
د / محمد عمارة
نهضة مصر

فى التنوير الإسلامى ٣٦

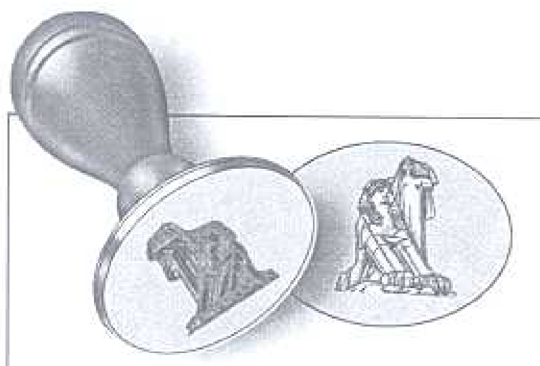
السُّنَّةُ والبِدْعَةُ

لشيخ الإسلام : محمد الخضر حسين

تقديم وتحقيق

د. محمد عمارة





اسم الكتاب	السنة والبدعة لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين
اسم المؤلف	تقديم وتحقيق د. محمد عمارة
تاريخ النشر	يونيه ١٩٩٩
رقم الإيداع	٥٩١٢ / ١٩٩٩م.
الترقيم الدولي	I . S . B . N 977 - 14 - 0948 - 4
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
المركز الرئيسي	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة. مدينة السادس من أكتوبر. ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة.
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة.

تقديم

سبحان الله العظيم !

لقد أنعم الله ، سبحانه وتعالى ، على هذه الأمة عندما جعل وسطيتها إرادة إلهية وجَعْلا ربانيا ، وليست مجرد خيار إنسانى لما هو مباح من الأمور ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ (١) .

وتميزت هذه الوسطية ، فى النسق الفكرى الإسلامى ، بأنها العدل المتوازن ، والتوازن العادل ، التى تبرأ من غلوى الإفراط التفريط ، فهى تجمع من طرفى الغلو عناصر الحق ومكونات العدل ، لتكون هذه الوسطية الإسلامية الجامعة ، موقفا ثالثا ، هو اعتدال بين تطرفين ، وتوازن بين خَلَلَيْن ، وعدل بين ظلمين وحق بين باطلين ، وهو المعنى الذى أصاب لبه حديث رسول الله ، ﷺ ، الذى عرّف فيه هذه الوسطية عندما قال : «**الوسط : العدل ، جعلناكم أمة وسطا**»(٢) .

فالوسطية ، فى الفكر والسلوك ، هى منظار الرؤية الإسلامية لكل شئون الدين والدنيا . . والغلو ـ بطرفيه ـ هو سبيل المتنكبين سبيل المؤمنين بالإسلام ! . .

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد .

ولقد كان - ولا يزال - هذا الحال هو حال الناظرين والمتعاملين مع سنة رسول الله ، ﷺ . . ضل منهم أولئك الذين غالوا فى تعاملهم مع مأثورات السنة ومروياتها ، إفراطا أو تفريطا . . واهتدى الذين اتخذوا منها الموقف الوسطى ، المتسم بالتوازن والعدل والاعتدال . .

لقد تميزت النظرة الأصولية الوسطية للسنة النبوية بالتمييز ، فى مرويات هذه السنة ومأثوراتها ، بين الأحاديث المتواترة وبين أحاديث الآحاد . . والتمييز فى كتب السنة بين الصحاح التى وضع جامعوها شروطا للصحة رفعت من درجات الاطمئنان للمرويات ، وبين تلك الكتب التى جمع أصحابها كل المرويات ، تاركين التدقيق والفرز للعقل الناقد ، وفق قواعد علم الجرح والتعديل للرواة ولمتون ومضامين المرويات . .

والتمييز فى مضامين المرويات بين «العقائد» - التى لابد من أخذها عن النصوص قطعية الثبوت - وبين «الأمور العملية» التى تحولت إلى «واقع» مارسه الناس - والتى يمكن - لذلك - أخذها عن أحاديث الآحاد ، ظنية الثبوت . .

كذلك ، ميز هذا المنهاج الوسطى - فى التعامل مع السنة النبوية - بين :

- السنة النبوية ، التى جاءت بيانا نبويا للبلاغ القرآنى ، والتى هى ، لذلك ، دين ثابت ، اكتسبت وضع الدين الإلهى من مجيئها بيانا للوضع الإلهى - أى الدين - . .

ـ وسنة العبادة ، التى جاءت تفصيلا لمجمل القرآن الكريم ، وتجسيدا للمناسك والشعائر التى تمثل طاعة العباد للمعبود ، وآيات إسلام المسلمين الوجه لله . . والتى هى ، لذلك ، دين خالد ، ومطلق دينى ، لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، ولا تغيير لها ولا تبديل ، مهما تغاير الزمان أو اختلف المكان ، أو تبدلت العادات والأعراف . .

ـ والسنة التشريعية ، التى مثلت أحكاما جاءت بها الأحاديث النبوية فى المعاملات الدنيوية الثوابت ، المرتبطة بمنظومة القيم الثابتة ، وبالفطرة الإنسانية السوية ، التى لاتختلف باختلاف الزمان والمكان . .

ميز المنهاج الإسلامى الوسطى بين أنواع السنة هذه ـ التى هى دين مطلق وخالد ـ لأنها البيان النبوى للبلاغ القرآنى ـ الذى هو جماع الدين . . وديوان الوضع الإلهى ـ وبين ألوان من السنة النبوية ، مثلتها أحاديث تعلقت بـ :

ـ سنة العادة ، التى فعلها أو تركها رسول الله ﷺ لعادات وأعراف اجتماعية بيئية . . أو لجبلّة إنسانية . . أو لحب أو كره فى مقومات حياته كإنسان . .

ـ والسنة غير التشريعية ، التى مارسها رسول الله ﷺ فى نطاق الاجتهاد ـ غير المعصوم ـ فى المتغيرات الدنيوية ، المعللة بحكم ومقاصد تتغير بتغير الوسائل المحققة لهذه الحكم وهذه المقاصد . . والتى تتعلق أساسا بالسياسات والمعاملات فى التفاصيل والفروع ـ أى فى الفقهيات ـ . .

ـ والسنة التى مثلت خصوصيات لرسول الله ، ﷺ ، والتى نص القرآن الكريم ، أو نبه الرسول ، فى الأحاديث ، على أنها من خصوصياته التى لم يلزم بها أمة الإسلام . .

● كذلك ميز المنهاج الإسلامى الوسطى ـ فى التعامل مع السنة النبوية ـ فى فعل رسول الله ، ﷺ ، وتركه ، بين العبادات الثوابت . . وبين المعاملات المتغيرة . . فالأولى الاقتداء فيها والتأسى هو تَعَبُّد وعبادة . . والثانية لا ثبات فيها للوسائل ولا قداسة فيها للآليات ، وإنما الدين فيها هو تحقيق المقاصد التى تتغيا المصالح الشرعية المعتبرة للعباد . .

● وميز هذا المنهاج الوسطى كذلك ، فيما تركه رسول الله ، ﷺ ، بين ما تركه لأنه منهى عنه دينا . . وبين ما تركه لعدم ظهور ما يقتضيه فى عصره . . فباب الفعل لهذا المتروك مفتوح عندما تطرأ ـ مع العصور المتلاحقة ـ مقتضيات الفعل لهذه المتروكات . .

❊ ❊ ❊

تلك معالم ونماذج ـ مجرد معالم ونماذج ـ للمنهاج الوسطى فى التعامل مع السنة النبوية . . وهو المنهاج الذى ساد طوال عصور الاجتهاد الإسلامى ، والتى دونت فيها السنة ، وقامت فيها علومها ، قسمة بارزة فى علوم الحضارة الإسلامية .

وكذلك صنع المنهاج الإسلامى الوسطى فى التعامل مع «البدعة» . .

فالبدعة ، التى هى ضلالة ، والتى هى فى النار ، هى ما خالفت كتابا أو سنة صحيحة أو أثرا تلقته الأمة بالقبول ، أو إجماعا مثل ويمثل سلطة الأمة فى التشريع . .

أما المحدثات من الأمور ، والإبداعات التى يبدعها الناس عبر الزمان والمكان ، خارج نطاق ثوابت الدين وعقائده وعباداته وكليات معاملاته ومنظومة قيمه ، فإن معيار القبول فيها أو الرفض لها هو موقع المقاصد التى تحققها من الحلال والحرام فى الدين ، وعلاقة هذه المقاصد بالمصالح الشرعية المعتبرة للعباد . . ولذلك ، فإن هذه البدع والإبداعات المحدثة تأخذ الأحكام الشرعية الخمسة . . فقد تكون واجبة . . وقد تكون مندوبة . . وقد تكون مكروهة . . وقد تكون محرمة . . وقد تكون مباحة . . وذلك وفق موقعها من تحقيق المقاصد الشرعية والمشروعة ، وليس وفق حدوثها قديما أو عدم حدوثها . . بل لقد استقر هذا المنهاج الوسطى الإسلامى ـ فى التعامل مع البدعة ـ على أن الإفتاء الفردى بما يخالف رأى جمهور العلماء ليس من البدعة المذمومة دينيا . . ذلك أن الموازنة هنا ليست بين بدعة وسنة ، وإنما هى بين رأى مرجوح ـ هو الإفتاء الفردى الجديد ـ وبين رأى راجح ـ هو إفتاء جمهور العلماء ـ فكل اجتهاد فى الإفتاء ـ فرديا كان أو للجمهور ـ هو استنباط حكم «ظنى» ، أما البدعة الضلالة فهى الإحداث فى الثابت الدينى ، لأنها تُحلُّ «الظنى الإنسانى والنسبى البشرى» محل «المطلق الدينى» ، الذى هو من وضع العليم الخبير . .

❊ ❊ ❊

لكن الفكر الإسلامى ـ فى عصر التراجع الحضارى . . وفى عصر التغريب ـ أى فى حقب «التقليد الموروث» و«التقليد الحداثى» ـ قد ابتلى بالانحراف عن هذا المنهاج الوسطى فى التعامل مع السنة النبوية . .

فوجدنا من أهل «التقليد الموروث» من لايميزون بين ألوان المأثورات والمرويات ، فيلزمون أنفسهم ويلزمون الأمة بما لايلزم ـ وهذا هو غلو الإفراط – ووجدنا من أهل «التقليد الحداثى» من يهدرون كل المرويات ، بدعوى «التاريخية» أو «التاريخانية» ، التى تربط كل النصوص بالزمن الذى ظهرت فيه ، والملابسات التى صاحبت نشأتها الأولى ، وذلك دون تمييز فى هذه النصوص بين أقسامها التى تحدث عنها علماء الأصول ، حتى لقد جعلوها «علما» أفردوا له المؤلفات(١) . .

إنهم لم يميزوا بين السنة التى هى دين ثابت ، لتعلقها بالبلاغ القرآنى والثوابت الدينية ـ فى العقائد والعبادات والقيم وثوابت المعاملات وفلسفات التشريع ومبادئه وقواعده ـ وبين السنة التى هى فقه الواقع النبوى المتغير ، ومثلها سنن العادات والخصوصيات النبوية . . فمثلوا غلو التفريط ، كما مثل أهل «التقليد الموروث» غلو الإفراط . .

وإذا كان الله ، سبحانه وتعالى ، قد أراد لهذه الأمة أن تكون وسطاً . . عدلاً . . متوازناً . . وذلك حتى تحقق الشهود الحضارى على حضارات الغلو ـ غلو الإفراط والتفريط ـ . .

(١) من نفائس الكتب الأصولية فى هذا الفن كتاب القرافى ، شهاب الدين أحمد بن إدريس (الإحكام فى التمييز ما بين الفتاوى والأحكام وتصرفات القاضى والإمام) تحقيق : الشيخ عبدالفتاح أبو غدة . طبعة حلب سنة ١٩٦٧م . وكتاب ولى الله الدهلوى (حجة الله البالغة) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢هـ .

وإذا كانت حياتنا الفكرية الحديثة والمعاصرة، تعانى من الاستقطاب الحاد بين الغلاة، فى الموقف من السنة النبوية الشريفة، فإن الحاجة تتزايد إلى تقديم الفكر «الأصولى - الوسطى»، الذى يقدم للباحثين والقراء معالم المنهاج الوسطى فى التعامل مع سنة رسول الله ﷺ، وذلك تعميقا لمعالم هذا المنهاج الوسطى، الذى هو وحده منظار الرؤية الإسلامية الخالصة.. وأيضاً لدعوة الغلاة - من أهل «التقليد الموروث».. و«التقليد الحداثي» - إلى كلمة سواء...

ولذلك.. ووفاء بهذا الواجب الفكري، نقدم إلى الباحثين والقراء هذه الدراسة «الأصولية - المجددة» - عن (السنة والبدعة) - لواحد من أعلام الأصولية الإسلامية المجددة.. الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٨م)(١)..

سائلين المولى، سبحانه وتعالى، أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم.. وأن يجعلها فى ميزان حسنات هذا الإمام العظيم.. إنه أعظم مسئول.. وأكرم مجيب.

دكتور

محمد عمارة

---

(١) انظر ترجمتنا للشيخ محمد الخضر حسين، فى كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) طبعة دار الشروق. القاهرة سنة ١٩٩٨ م. وكتابنا (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) - سلسلة «فى التنوير الإسلامى» - ص٩ - ٢٣ طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨م.

تمهيد

شرع الله الدين الحنيف فى سماحة وحكمة ، فلم يأت بما فيه حرج ، أو بما ينبو العقل السليم عن قبوله ، وكانت هذه السماحة والحكمة من أسباب انتشاره فى المعمورة وظهوره على الأديان كلها فى أعوام معدودة ، وحيث بَلِىَ بعض الشرائع من قبل فدخلها فساد التبديل والتأويل - اشتدت عناية الشارع بتحذير الناس من أن يحدثوا فى الإسلام ما ليس منه . قال ﷺ : **«من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** وقال **«كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**(١) .

ولم يخلص الدين مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما ينافى سماحته ، أو ما يشوه وجه حكمته . وقد كثرت هذه البدع حتى حجبت جانباً من محاسنه ، وكان لها أثر فى تنكر بعض القلوب لهدايته ، وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالتأليف خاصة ، كما فعل أبوبكر الطرطوشى(٢) وأبو إسحاق الشاطبى(٣) وغيرهما من رجال الدين .

(١) صحيح الإمام البخارى .

(٢) أبو بكر الطرطوشى ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى ، الأندلسى (٤٥١ - ٥٢٠ هـ ١٠٥٩ - ١١٢٦م) من فقهاء المالكية بالأندلس ، ومن الحفاظ ، والأدباء . سكن الإسكندرية ، بعد رحلة إلى المشرق ، وتولى التدريس فيها إلى أن توفى بها .

(٣) الشاطبى ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى (٧٩٠ هـ ١٣٨٨م) من أبرز علماء الأصول ، ومن الحفاظ . ويعد كتابه (الموافقات) رائداً فى فن مقاصد الشريعة الإسلامية .

وللبحث فى البدع مجال واسع ، ونحن نلم فى هذا المقال بالقدر الكافى لإجابة رسائل اقترح أصحابها على المجلة[1] بيان ما هو سنة وما هو بدعة ، وفى الفرق بين السنة والبدعة ، وتمييز البِدْعِيِّ من السُّنِّيِّ إصلاح كبير .

(١) المجلة - التى يشير إليها المؤلف - هى الهداية الإسلامية - التى أصدرها الشيخ الخضر ، بالقاهرة ، فى عشرينيات القرن العشرين - لسان حال للجمعية التى أسسها ، بنفس الإسم - وكتابه (رسائل الإصلاح) بأجزائه الثلاثة - عبارة عن المقالات التى نشرها فى هذه المجلة .



إلى القارئ العزيز . .

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث . .

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقدم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم العوا
- ا . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيرى
- د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين . .

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

